

تفسير البحر المحيط

@ 71 @ الزمخشري : فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح ، وأن يعاقبهم بغير جرم ، ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه انتهى . وذلك على طريقة الاعتزال . ويظهر أن بين قوله بالبينات . وقوله : فما كان كلاماً محذوفاً تقديره وإني أعلم فكذبوا فأهلكهم إني ، فما كان إني ليطلمهم . .

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ بِالْأَمْرِ عَرُوفٍ وَيَذْنُهُمْ وَنَ * مِنْ * الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } : لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ، ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في أولئك بعضهم من بعض ، وفي هؤلاء بعضهم أولياء بعض . قال ابن عطية : إذ . لا ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم ، ولا يدعو بعضهم لبعض ، فكان المراد هنا الولاية في إني خاصة . وقال أبو عبد الله الرازي : بعضهم من بعض يدل على أن نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر ، وسبب مقتضى الطبيعة والعادة . أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فإنما حصلت لا بسبب الميل والعادة ، بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية ، والولاية ضد العداوة . ولما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده ما يجري كالتفسير والشرح له ، وهي الخمسة التي يميز بها المؤمن على المنافق . فالمنافق يأمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف ولا يقوم إلى الصلاة إلا وهو كسلان ، ويبخل بالزكاة ، ويتخلف بنفسه عن الجهاد ، وإذا أمره إني تثبط وثبط غيره . والمؤمن بضد ذلك كله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والجهاد . وهو المراد في هذه الآية بقوله : ويطيعون إني ورسوله انتهى ، وفيه بعض تلخيص . وقال أبو تلخيص . وقال أبو العالية : كل ما ذكره إني في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعاء من الشرك إلى الإسلام ، وما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأصنام والشياطين . وقال ابن عباس : ويطيعون الصلاة هي الصلوات المسماة . قال ابن عطية : وبحسب هذا تكون الزكاة المفروضة والمدح عندي بالنوافل أبلغ ، إذ من يقيم النوافل أجدي بإقامة الفروض ، ويطيعون إني ورسوله جامع للمندوبات انتهى ، سيرحمهم إني . قال ابن عطية : السين مدخلة في الوعد مهلة ، لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله تعالى . وقال الزمخشري : السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك : سأنتقم منك يوماً يعني : إنك لا تفوتني وإن تبطأ ذلك . ونحوه : }

سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ { } سَوْفَ *
فَيُؤَوِّفِيهِمْ أَجْرَهُمْ { انتهى . وفيه دفيئة خفية من الاعتزال بقوله : السين مفيدة
وجوب الرحمة لا محالة ، يشير إلى أنه يجب على [] تعالى إثابة الطائع ، كما تجب عقوبة
العاصي . وليس مدلول السين تأكيد ما دخلت عليه ، إنما تدل على تخليص المضارع للاستقبال
فقط . ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب
في الآخرة ، أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل أن [] عزيز غالب على كل شيء ، قادر
عليه ، حكيم واضح كلاً موضع . .

{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { : لمّا أعقب المنافقين بذكر
ما وعدهم به من نار جهنم ، أعقب المؤمنين بذكر ما وعدهم به من نعيم الجنان . ولما كان
قوله : { سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ { وعداً إجمالياً فصله هنا تنبيهاً على أن تلك
الرحمة هي هذه الأشياء ، ومسكن طيبة . قال ابن عباس : هي دور المقربين . وقيل : دور في
جنان عدن مختلفة في الصفات باختلاف حال الحالين بها . وقيل : قصور زبرجد ودر وياقوت
يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام في أماكن إقامتهم . وفي الحديث : (قصر في الجنة من
اللؤلؤ فيه سبعون داراً من ياقوته حمراء ، وفي كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، في
كل بيت سبعون سريراً) وذكر في آخر هذا الحديث أشياء ، وإن صحَّ هذا النقل عن الرسول
وجب المصير إليه . في جنات عدن أي : إقامة . وقال كعب الأحبار : هي بالفارسية الكروم
والأعناب .